

السياسة الخارجية الإيرانية تجاه سوريا بعد العام ٢٠١١

أ.م.د. عبد الرزاق خلف محمد الطائي

مركز الدراسات الإقليمية/ جامعة الموصل

abdalrazaq_kh_m@yahoo.com

القبول: ٢٠٢٢/٤/٢٥



الاستلام: ٢٠٢١/١٢/٢٨

مستخلص البحث

مثلت الازمة السورية التي جاءت على خلفية اندلاع الثورة ضد نظام الرئيس السوري بشار الاسد عام ٢٠١١ اختباراً لتوجهات السياسة والاستراتيجية لإيران في المنطقة العربية. وتأتي أهمية البحث من كونه يرصد تفاعل إيران مع الازمة السورية ومدى أهمية سوريا بالنسبة لإيران. اما اهدافه الرئيسية فهي التعرف على توجهات السياسة الخارجية الايرانية تجاه سوريا، والتعرف على ابراز اهدافها والياتها. وقد قسم البحث إلى اربعة مباحث رئيسه وخاتمة اشتملت على أهم الاستنتاجات التي توصل لها الباحث. اما المباحث فقد تناول الاول مؤسسات صنع قرار في ايران، وناقش الثاني دوافع التدخل الايراني في سوريا. واستعرض الثالث وسائل التدخل الايراني في الازمة السورية، وتناول الرابع البعد الاقتصادي والاجتماعي في السياسة الايرانية. وقد خلص البحث انه ونتيجة الارتباط الوثيق والمصالح السياسية التي تجمع نظامي الحكم في كلا الدولتين فقد اثبتت الاحداث مدى الدعم والاسناد الذي قدمته ايران للنظام السوري، ومدى سعي ايران لتعزيز نفوذها والحفاظ على مصالحها في سوريا .

الكلمات المفتاحية: الازمة السورية؛ الدعم الايراني؛ فيلق القدس؛ قوى المعارضة.

Iran's Foreign Policy toward Syria after 2011

Assist. Prof. Dr. Abdul Razzaq Kh. Mohammad Al-Taie

Regional Studies Center / University of Mosul

abdulrazzaq_kh_m@yahoo.com

Received: 28/12/2021



Accepted: 25/4/2022

Abstract

The Syrian crisis, which came after the outbreak of the revolution against the regime of Syrian President Bashar al-Assad in 2011, represented a test of Iran's political and strategic orientations in the Arab region. The importance of the research comes from the fact that it monitors Iran's interaction with the Syrian crisis and the extent of Syria's significance to Iran. The research's key objectives are to identify the orientations of Iran's foreign policy towards Syria and to know its leading aims and mechanisms. The research was divided into four main sections and a conclusion that included the most remarkable conclusions reached by the researcher. The first section covered decision-making institutions in Iran. The second one discussed the motives for Iranian interference in Syria. The third section reviewed the means of Iranian interference in the Syrian crisis. The fourth section involved the economic and social dimensions of Iranian politics. The research concluded that, as a result of the close connection and political interests that unite the two regimes in both countries, the events have proven the range of support provided by Iran to the Syrian regime and the extent to which Iran seeks to enhance its influence and preserve its interests in Syria.

Keywords: Syrian crisis; Iranian support; the Quds Force; opposition forces.

Available online at <https://regs.mosuljournals.com/>, © 2020, Regional Studies Center, University of Mosul. This is an open access article under the CC BY 4.0 license (<http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/>)

المقدمة :

تتطلق السياسة الخارجية للدول من خلفيات مختلفة حسب التوجهات السياسية لنظام الحكم، وفيما يخص إيران، فالنظام السياسي فيها نظام ثيوقراطي (ديني)، لذلك يحتل البعد الديني أهمية خاصة في سياستها الخارجية، وهذا يظهر بشكل واضح في الدستور الإيراني. وفي إطار السياسة الخارجية الإيرانية تجاه سوريا فقد اثبتت الاحداث مدى الدعم والاسناد الذي قدمته إيران الى سوريا، _ نتيجة الارتباط الوثيق والمصالح السياسية التي تجمع نظامي الحكم في كلا الدولتين.

جاءت حركة الاحتجاجات الشعبية التي شهدتها كل من تونس ومصر وليبيا وسوريا واليمن عام ٢٠١١، والتي اطلق عليها الاعلام ثورات الربيع العربي اختبار للسياسة الخارجية الإيرانية تجاه سوريا، فبعد ان أعلنت إيران عن دعمها لحق الشعوب العربية في التحرر من الاستبداد والتطلع إلى الحرية وما أسمته ب"الديمقراطية الإسلامية"، اختلف الحال عندما وصلت حركة الاحتجاج الى سوريا فقد اعتبرت إيران انها مؤامرة تستهدف دول (محور المقاومة) لذلك تبنت خيار دعم الحكومة السورية وساندت النظام السوري للحيلولة دون إسقاطه.

اشكالية البحث: تقوم اشكالية البحث على عدة تساؤلات من أهمها.

_ هل يعكس الموقف الإيراني من الازمة السورية السياسة البرغماتية الإيرانية في منطقة الشرق الاوسط وشكل وطبيعة العلاقات التي تجمع النظامي الإيراني مع النظام السوري.

_ هل تتبع السياسة الخارجية الإيرانية تجاه سوريا من الايدلوجية الثورية الإيرانية والتي انعكست في الدستور الإيراني.

اهمية البحث:

تأتي أهمية البحث من كونه يرصد تفاعل إيران مع الازمة السورية ومدى أهمية سوريا بالنسبة لإيران والمتمثل بالموقع الجغرافي الذي جعل من سوريا حلقة

وصل ضرورة لتحقيق الهدف الاستراتيجي الإيراني بالوصول الى البحر المتوسط عبر العراق وسوريا ولبنان إذ حزب الله الحليف الإيراني من جهة، وضرورة الحفاظ على المصالح السياسية التي تجمع نظامي الحكم في كل من ايران وسوريا من جهة أخرى.

هدف البحث:

يهدف البحث الى التعرف على التطورات التي شهدتها سوريا عام ٢٠١١ وتداعياتها على توجهات السياسة الخارجية الإيرانية تجاه سوريا، والتعرف من خلالها على طبيعة تلك السياسة وابرار اهدافها والياتها.

منهجية البحث:

اعتمد البحث على المنهج التوثيقي الوصفي في كتابة البحث دون اغفال الجانب التحليلي بالاعتماد على المصادر الفارسية المهمة بالسياسة الإيرانية تجاه الازمة السورية فضلا عن المصادر العربية والانكليزية من اجل ان يكون البحث ذات علمية وموضوعية في عرض المعلومات بشكل اكبر.

هيكلية البحث

يغطي البحث المدة الزمنية التي تمتد من ٢٠١١ وحتى منتصف عام ٢٠٢٠ إذ تضمن الأحداث والتطورات الخاصة بالسياسة الإيرانية تجاه سوريا خلال هذه المدة قدر الإمكان. وتم تقسيمه إلى أربعة مباحث رئيسه وخاتمة اشتملت على أهم الاستنتاجات التي توصل لها الباحث. اما المباحث فقد تناول الاول مؤسسات صنع قرار السياسة الخارجية الإيرانية، وناقش الثاني بالسرد والتحليل دوافع التدخل الإيراني في سوريا. في حين استعرض الثالث وسائل التدخل الإيراني في الازمة السورية، بينما تناول المبحث الرابع البعد الاقتصادي والاجتماعي في السياسة الإيرانية تجاه سوريا.

المبحث الأول

مصادر صنع قرار السياسة الخارجية في إيران

تتوزع مصادر ومرجعية صنع قرار السياسة الخارجية في إيران بين الدستور او المرشد الاعلى للثورة فضلا عن السلطتين التنفيذية والتشريعية، اما وزارة الخارجية وقوات فيلق القدس الايراني فتعدو ادوات تنفيذه لهذه السياسة وفيما يلي عرض لهذه المصادر:

١ - الدستور الإيراني:

يعد دستور الجمهورية الإسلامية في إيران لعام ١٩٧٩ والمعدل عام ١٩٨٩ المرجع الاساسي لسياستها الخارجية المرجع، والمصدر الاساسي في رسم السياسة الخارجية الايرانية، فقد حددت ديباجة الدستور ان من ضمن أهداف السياسة الخارجية في الجمهورية الإسلامية، سعيها مع الحركات الإسلامية والجماهيرية الأخرى لبناء الأمة العالمية، وإنقاذ المحرومين في كل أنحاء المعمورة (دستور الجمهورية الإسلامية الإيرانية (د.ج.إ.إ)، ١٩٧٩، ٥٨). وأكدت المادة الثالثة من الدستور (دعم إيران المطلق لمستضعفي العالم كهدف من أهداف الجمهورية الإسلامية) (د.ج.إ.إ، ١٩٧٩، المادة ٣).

اما المواد الواردة في الفصل العاشر من الدستور وهي المادة ١٥٢، ١٥٤، ١٥٥ فقد حددت المفاهيم الأساسية لسياسة إيران الخارجية.

فالمادة ١٥٢: تقوم السياسة الخارجية الإيرانية على الدفاع عن حقوق جميع المسلمين (د.ج.إ.إ، ١٩٧٩، المادة ١٥٢)،، والمادة ١٥٤: "تعد جمهورية إيران إن هدفها المقدس هو سعادة الإنسان في كل المجتمعات البشرية وترى أن الاستقلال والحرية وإقامة حكومة الحق والعدل هو حق لجميع شعوب العالم كافة لذا فان جمهورية إيران الإسلامية ستقوم بدعم النضال المشروع للمستضعفين ضد المستكبرين

في أي بقعة من العالم... (د.ج.إ.إ، ١٩٧٩، المادة ١٥٤)، وفي المادة ١٥٥: "تستطيع حكومة جمهورية إيران الإسلامية منح حق اللجوء السياسي إلى الذين يطلبونه باستثناء الذين يعتبرون وفقاً للقوانين الإيرانية مجرمين وخونة" (د.ج.إ.إ، ١٩٧٩، المادة ١٥٥).

٢- المرشد الأعلى للثورة الإيرانية (الولي الفقيه):

يعد المرشد الأعلى الركيزة الأساسية لنظام الجمهورية الإسلامية في إيران. فهو محور كافة السلطات التنفيذية والتشريعية والقضائية والتي تمارس مهامها بإشراف المرشد الأعلى القائد الولي الفقيه^(١). فقد أعطى الدستور صلاحيات للولي الفقيه تفوق صلاحيات المؤسسات الأخرى وفق المادتين (٥٧، ١٠٠) من دستور عام ١٩٧٩ واللتان تنصان على معالجة المشاكل التي تواجه النظام السياسي والتي قد يتعذر حلها من خلال مؤسسات الدولة الأخرى، وإعلان الحرب والسلام والنفي العام، فضلاً عن تعيين وعزل كل من فقهاء مجلس صيانة الدستور، وأعلى مسؤول في السلطة القضائية، والقائد العام لقوات حرس الثورة الإسلامية، والقيادات العليا للقوات المسلحة وقوى الأمن الداخلي، وإقرار تنصيب رئيس الجمهورية بعد أن تتم عملية انتخابه، وعزل رئيس الجمهورية بعد أن تصدر المحكمة العليا حكماً بعدم التزامه بأداء واجباته ووظائفه القانونية أو بعد بيان مجلس الشورى (العفو أو التخفيف من عقوبات المحكوم عليهم) (خليليان، د.ت، ١٩٦٦-١٩٧٧).

وبعد إجراء تعديل الدستور عام ١٩٨٩ زادت صلاحيات المرشد فشملت تعيين السياسات العامة للدولة بالتشاور مع مجمع تشخيص مصلحة النظام والإشراف على تنفيذ سياسة الدولة، وإصدار أمر بإجراء الاستفتاء العام، وتعيين وعزل رئيس مؤسسة الإذاعة والتلفزيون ورئيس أركان القيادة المشتركة، ومعالجة الخلافات التي قد تنشأ بين

السلطات الثلاث التشريعية والقضائية والتنفيذية، فضلاً عن تنظيم العلاقات بينهم (دستور الجمهورية الإسلامية الإيرانية المعدل (د.ج.إ.م.)، ١٩٨٩، المادة ١١٠).

ويعد منصب المرشد الأعلى في إيران أعلى منصب في اتخاذ القرارات الأهم بشأن السياسة الخارجية الإيرانية. وكثيراً ما اتخذ المرشد الأعلى الحالي علي خامنئي قرارات مهمة بشأن السياسة الخارجية الإيرانية، ومن خلال ممثله بالمجلس الأعلى للأمن القومي^(٢)؛ فبحسب ما صرح به المرشد الأعلى علي خامنئي: "السياسة الخارجية في إيران يحددها المجلس الأعلى للأمن القومي" (CNN)، د.ت). والذي تتصف قراراته بالإلزامية والنفاذ بعد مصادقة المرشد الأعلى عليها (د.ج.إ.م.، ١٩٧٩، المادة ١٧٦).

٣ - السلطة التنفيذية:

نص دستور عام ١٩٧٩ على تشكيل سلطة تنفيذية يكون على رأسها رئيس الجمهورية والذي ينتخب لدورة رئاسية مدة أربعة سنوات قابلة للتجديد لمرة واحدة (د.ج.إ.م.، ١٩٧٩، المادة ١١٤)، وينتخب رئيس الجمهورية من بين الرجال المتدينين الذين تتوفر فيهم الشروط الآتية:

ان يكون إيراني الأصل ويحمل الجنسية الإيرانية، وان يكون له القدرة على الإدارة، وذا ماضٍ جيد، وتتوفر فيه الأمانة والتقوى، ومؤمناً بعقيدة ومبادئ النظام السياسي في جمهورية إيران الإسلامية والمذهب الرسمي للبلاد (د.ج.إ.م.، ١٩٧٩، المادة ١١٥). ثم يأتي من حيث الأهمية بعد رئيس الجمهورية، رئيس الوزراء بشرط تصويت البرلمان على منحه الثقة لتولي هذا المنصب (خليليان، د.ت، ٢٠٢-٢٠٣). وبعد التعديلات الدستورية عام ١٩٨٩ أصبح رئيس الجمهورية يتولى رئاسة مجلس الوزراء، ويقوم الرئيس باختيار نائبه الأول^(٣).

اعطا الدستور الإيراني الرئيس بعض الصلاحيات المباشرة في السياسة الخارجية الإيرانية ونص عليها البند الخامس و والخامس عشر السادس عشر من المادة الثالثة وينص على ان: "حكومة جمهورية إيران الإسلامية مكلفة بطرد الاستعمار ومكافحة النفوذ الأجنبي وتنظيم السياسة الخارجية للبلاد طبقاً للمعايير الإسلامية (د.ج.إ.إ، ١٩٧٩، المادة ٣). يوقع رئيس الجمهورية أو ممثله القانوني بعد مصادقة مجلس الشورى الإسلامي على المعاهدات والعقود والاتفاقيات والمواثيق التي تبرم مع بين الحكومة الإيرانية وسائر الدول وكذلك المعاهدات المتعلقة بالاتحادات الدولية (د.ج.إ.إ، ١٩٧٩، المادة ١٢٥). ويقوم بالتوقيع على اوراق اعتماد السفراء، ويتسلم اوراق اعتماد سفراء الدول الاخرى (د.ج.إ.إ، ١٩٧٩، المادة ١١٨). وقيادة مجلس الأمن القومي الذي يقوم بتعيين السياسات الدفاعية والأمنية للبلاد في إطار السياسات العامة التي يحددها المرشد الأعلى. ويخصص هذا المجلس جانباً من مهامه للسياسة الخارجية (الحكيم، ٢٠١٤).

٤- السلطة التشريعية:

انبثقت السلطة التشريعية في إيران وفق ما ورد في دستور عام ١٩٧٩، وتضم مؤسستين تشريعتين هما مجلس الشورى الإسلامي (البرلمان) ومجلس صيانة الدستور^(٤).

وينص الدستور الإيراني على أن أعضاء المجلس هم من المسلمين الذين يعرفون بتمسكهم بالإسلام وإيمانهم الراسخ، ويجب أن تتوفر في المرشح للعضوية في البرلمان شروط معينة، أهمها ان يحمل الجنسية الإيرانية، وان لا يقل عمر المرشح عن ٢٥ عاماً ولا يزيد عن ٨٥ عاماً، وان يكون مؤمن بمبادئ الثورة الإيرانية (بختياري، ١٩٩٨، ٩٥). وافر الدستور ان للأقليات الدينية تمثيل في مجلس الشورى بحسب

كثافتهم العددية، إذ يوجد ممثل لإتباع كل من ديانات النصرانية واليهودية والزرادشتية (القره غولي، ٢٠٠٤، ٢٨).

وقد اقر الدستور الفصل بين مهام وصلاحيات مجلس الشورى في مواده من تسلسل (٦٢) لغاية (٩٠) (شمل سن القوانين في كافة القضايا ضمن الحدود المقررة دستورياً، وشرح القوانين العادية والتدقيق والتحقيق في كافة شؤون البلاد ومنح الثقة للحكومة وطرحها عنها واستجوابها، التصديق على المواثيق والعقود والمعاهدات والاتفاقات الدولية) (د.ج.إ.إ، ١٩٧٩، المواد ٧١، ٨٧، ١٢٥).

ومن خلال المواد اعلاه نلاحظ تأثير مجلس الشورى الايراني (البرلمان) في السياسة الخارجية للبلاد، إذ اتخذ مجلس الشورى الإسلامي طيلة دوراته التشريعية مجموعة قرارات تنفيذية مباشرة في مواقف خاصة بشأن قضايا تخص السياسة الخارجية، وتجدر الإشارة أن لجنة الشؤون الخارجية بالمجلس تقوم بدراسة السياسات العالمية وعلاقات جمهورية إيران الإسلامية مع الدول والشعوب الأخرى وتباشر الإشراف عليها بصورة مستمرة، كما أنها تقوم في الأوقات اللازمة بطرح الأسئلة وطلبات الإحاطة حول أي تحرك حكومي وخصوصاً وزارة الخارجية منها وتتلقى توضيحاتها عليها (الحكيم، ٢٠١٤، ٣).

وجدير بالذكر هنا أن مجلس صيانة الدستور هو أحد المؤسسات التشريعية في إيران والذي يمكن أن يكون له دور مؤثر في السياسة الخارجية الإيرانية، إذ يتكون هذا المجلس من فقهاء القانون وعلماء الدين، ويقوم بدوره في مطابقة قرارات مجلس الشورى الإسلامي مع الدستور والشرعية الإسلامية واستناداً على ذلك أصبح قادراً على الإشراف على السياسة الخارجية والتأثير عليها (الحكيم، ٢٠١٤، ٤).

٥- وزارة الخارجية :

تعد وزارة الخارجية الإيرانية المنفذ الرسمي للسياسة الخارجية وذلك بعد تخطيط ووسم الإطار العام لها من قبل مصادر صنع القرار (المرشد الأعلى، السلطة التنفيذية، السلطة التشريعية) ولا يقتصر دور وزارة الخارجية على التنفيذ فقط، وإنما تشارك أيضاً في وضع وتوجيه السياسة الخارجية بحكم علاقتها بالشؤون الخارجية وببصفتها الجهة المسؤولة المباشرة، (الحكيم، ٢٠١٤، ٤). ويشارك فيلق القدس الإيراني وزارة الخارجية في تنفيذ السياسة الخارجية الإيرانية.

٦- فيلق القدس والسياسة الخارجية الإيرانية :

يعد فيلق القدس من الوسائل التنفيذية للسياسة الخارجية الإيرانية، فهو المسؤول عن أنشطة الحرس الثوري الإيراني خارج الحدود الإقليمية لإيران كونه أحد الفيلق التابع لقوات الحرس الثوري، وما يميز الحرس الثوري أن لديه قيادة مستقلة مرتبط بالمرشد الأعلى للجمهورية علي خامنئي. وبذلك يكون فيلق القدس مرتبط بشكل مباشر بالمرشد الأعلى (Khoshnood, 2020, 5-13).

ويدعم فيلق القدس الجهات والأحزاب الفاعلة غير الحكومية في العديد من الدول (Khoshnood, 2020, 4-18)، إلى جانب أدته للسفارات الإيرانية في هذه الدول، وعادةً ما يكون الملحق العسكري في السفارة الإيرانية معين من قبل قائد فيلق القدس، أو يكون السفير الإيراني ضابط سابق في الحرس الثوري أو فيلق القدس، وحتى الموظفين في وزاره الخارجية المكلفين من قبل الوزارة نفسها ينفذون واجباتهم وفقاً لطلبات فيلق القدس (السيسي، ٢٠٢٠).

إذ كشف وزير الخارجية الإيراني جواد ظريف (٢٠١٣-٢٠٢١) عن دور قائد فيلق القدس قاسم سليمان (١٩٩٨-٢٠٢٠) في السياسة الخارجية الإيرانية. إذ قال والحديث لجواد ظريف: "في كل مرة، تقريباً، أذهب فيها للتفاوض كان سليمان هو الذي يقول إنني أريدك أن تأخذ هذه الصفة أو النقطة بعين الاعتبار..." وأضاف: "كان سليمان يفرض شروطه عند ذهابي لأي تفاوض مع الآخرين بشأن سوريا، وأنا لم أتمكن من إقناعه بطلباتي"^(٥).

المبحث الثاني

دوافع التدخل الإيراني في الأزمة السورية

ترجع دوافع التدخل الإيراني في سوريا لأسباب استراتيجية وسياسية، وعسكرية، واقتصادية وفيما يأتي عرض لهذه الدوافع.

- الدافع الاستراتيجي: لموقع سوريا الجغرافي أهمية كبيرة في الاستراتيجية الإيرانية فحدود سوريا المشتركة مع العراق ولبنان وفلسطين ووقوعها على البحر الأبيض المتوسط، جعل منها حلقة وصل ضرورية لتحقيق الهدف الاستراتيجي الإيراني بالوصول الى البحر المتوسط عبر العراق وسوريا ولبنان من خلال حزب الله الحليف الإيراني (صادقي ولطفی، ١٣٩٤، ١٣٣). كما اسهم الموقع الجغرافي في التفاعل بين البلدين في المجال الاقتصادي في القطاع التجاري والاستثماري شكل بذلك ممراً اقتصادياً حيوياً استراتيجياً نحو السوق العالمية (عبد، ٢٠١٦، ١١).

- الدافع السياسي: تتبع أهمية المصلحة السياسية من خلال الحيلولة دون قيام نظام جديد في سوريا، اذ ترى إيران أن سقوط النظام السوري سوف يؤدي الى قيام نظام جديد في سوريا، وهذا الشيء لا يصب في مصلحتها لأن النظام الجديد سيكون بالضرورة معادياً لإيران بسبب دعمها لحكم بشار الأسد، كما أنه سوف يقوم بتحجيم دورها في المنطقة من خلال قطع طرق الإمدادات التي تصل الى حلفائها في لبنان عبر الأراضي السورية. فضلاً عن إمكانية تغير معادلة توازن القوى القائمة والذي يمكن أن يكون في غير صالح إيران (عبد، ٢٠١٦، ١٢) فدافع إيران من التدخل في سوريا هو الحفاظ على ما أسمته بمحور المقاومة الذي يضم إيران وسوريا وحزب الله في لبنان للحفاظ على التوازن مع "إسرائيل" بشكل رئيس (نجات، ١٣٩٣، ٦٤٧)، وعلى الجانب الآخر تسعى إيران للحفاظ على نفوذها في لبنان واستمرار وجود وهيمنة حزب الله فيه، كما تسعى إيران من خلال تدخلها في سوريا الحفاظ على النظام السوري وثابت نفسها كقوة إقليمية فاعلة (عبدالعال، ٢٠١٨).

- **الدافع الاقتصادي:** بالرغم من ان المصالح الاقتصادية الايرانية في سوريا كانت اقل من مستوى العلاقات والمصالح السياسية بين البلدين قبل ٢٠١١ الا انها بعد اندلاع الثورة وانهيار التعاون الاقتصادي الذي كان بين سوريا وقطر وتركيا، بدأت إيران في تعزيز نفوذها الاقتصادي في سوريا من خلال القروض الإيرانية التي قدمت للحكومة السورية لتمويل الواردات السورية شريطة أن تكون معظمها من إيران، ونتيجة لذلك أعفيت الشركات الايرانية التي تصدر السلع الغذائية الى سوريا من كل أنواع الرسوم والضرائب، وأشارت عدد من المصادر عن رهن الحكومة السورية بعض العقارات والممتلكات الحكومية للحصول على القروض الإيرانية. كما وصل مستوى التبادل التجاري بين الدولتين من ٢٨٠ مليون دولار عام ٢٠١٠ إلى مليار دولار عام ٢٠١٤، واتفقت مع سوريا على تسيير خطيين بحريين بينهما لتعزيز التبادل التجاري، وعكس توسع العلاقات الاقتصادية بين البلدين في الجانب الاقتصادي كثرة تواجد الشركات الإيرانية في السوق السورية، هذه المصالح الاقتصادية كانت احد دوافع التدخل الايراني في الأزمة السورية لصالح حليفها بشار الأسد (عبدالعال، ٢٠١٨).

- **الدافع العسكري:** يرتبط الدافع العسكري لإيران بمصالحها السياسية، إذ سعت وحرصت إيران لمد نفوذها العسكري إلى سوريا، فأجدى اهتماماتها في سوريا هو زيادة قدرتها على إيصال دعمها العسكري إلى حزب الله في لبنان حتى تكون قادرة على تهديد "إسرائيل" ومنعها من التصعيد ضد إيران، وهو ما يفسر سعي إيران لإنشاء قواعد عسكرية دائمة لها في جنوب سوريا على الحدود مع "إسرائيل"، ومن جهة أخرى يمتد الطموح الإيراني إلى إنشاء قواعد عسكرية بحرية في سوريا على البحر المتوسط (عبدالعال، ٢٠١٨).

المبحث الثالث

وسائل الدعم والتدخل الإيراني في سوريا بعد العام ٢٠١١

تسعى إيران من خلال التدخل في الأزمة السورية الى تعزيز نفوذها في المنطقة والحفاظ على مصالحها، لذلك بادرت إيران بدعم نظام الرئيس السوري بشار الأسد في مواجهة قوى المعارضة باعتبار ان دعمها لنظام بشار الأسد يمثل دفاعاً عن مصالحها الحيوية في سوريا والمنطقة.

وبحسب رأي النظام الإيراني ان الذين يقومون بالثورة في سوريا ليسوا من المستضعفين بل هم جزء من المؤامرة المحاكاة ضد النظام السوري وعليه ينبغي مساندة للنظام السوري، (يحيى، ٢٠١٨، ٦٧-٦٨). إذ وصفت الحكومة الإيرانية انتفاضة الشعب السوري بأنها فتنة (بتحريض من الخارج). (تبريزي وپانتوجي، ١٣٩٥، ١٢) لذلك تنوعت وتدرجت وسائل الدعم والتدخل في الازمة السورية بين سياسية واقتصادية وعسكرية لصالح النظام السوري وفق تطورات الاحداث في الاخيرة وقدرة النظام السوري العسكرية والامنية في مواجهة حركة الاحتجاجات الشعبية والتي انطلقت في عدة مدن سوريا منذ منتصف شهر اذار/مارس ٢٠١١ و والتي بدأت كاحتجاجات شعبية تطالب بالإصلاح وإطلاق الحريات وإخراج المعتقلين السياسيين من السجون ورفع حالة الطوارئ، وانتهت الى حرب داخلية بين قوى المعارضة السورية ونظام حكم الرئيس بشار الأسد وبقدر تعلق الامر بأدوات ووسائل الدعم الإيراني للنظام السوري فقد تدرجت وافق الاتي :

في المراحل الأولى من الأزمة، تدخلت إيران في سوريا لتقديم الدعم الفني والمالي لنظام الأسد بشكل أساسي^(١) وقدمت الحكومة الإيرانية للحكومة السورية تكنولوجيا مراقبة البريد الإلكتروني والهواتف المحمولة ووسائل التواصل الاجتماعية. ومعدات مكافحة الشغب وتقنيات استخباراتية للرصد (Jaber, 2011).

مع توسع سيطرة المعارضة على العديد من المناطق في سوريا، كان العنصر الأهم بالنسبة للنظام السوري هو الدعم الاقتصادي الخارجي الذي يُبقيه قائماً للإبقاء بمتطلبات الدولة، وقد ساهمت إيران في دعم النظام السوري من اجل تخطي الازمة

الاقتصادية في سوريا، إذ قامت إيران بإقراض النظام السوري بنحو ثلاثة قروض بقيمة ٥,٦ مليار دولار من أجل دعم استيراد السلع الأساسية كالمواد الغذائية وخاصة القمح، والمشتقات النفطية، والسيولة النقدية للبنك المركزي السوري. وبالرغم من فرض العقوبات الاقتصادية على النظام السوري عام ٢٠١٢ استمرت إيران بالتعاون التجاري مع سوريا من خلال مواصلة استيراد الألبسة والقطن وزيت الزيتون من سوريا وغيرها، وكان لذلك دور كبير في ديمومة الدورة الاقتصادية لمناطق سيطرة النظام.

وفقاً لما سبق تأتي ونظراً لوجود اتفاقية التجارة الحرة المبرمة بين إيران وسوريا عام ٢٠١٢، والتي تُعفي البضائع المتبادلة بين الطرفين من الضرائب والتعريفات الجمركية أصبحت إيران على رأس الدول المستوردة من سوريا (سلمي، ٢٠١٨).

أما عسكرياً فمُنذ أيلول/سبتمبر ٢٠١٢ كشفت وسائل الإعلام والاستخبارات الغربية أن إيران تمد النظام السوري بمستشارين عسكريين، إذ تم إرسال نحو ١٥٠ من كبار أعضاء الحرس الثوري الإيراني لدعم حكم بشار الأسد عسكرياً والحيلولة دون سقوطه، وفي ١٩ سبتمبر/أيلول ٢٠١٢ اعترف علي جعفري القائد العام لقوات الحرس الثوري بأن لبلاده مستشارين عسكريين رفيعي المستوى في سوريا لدعم نظام الأسد يقتصر عملهم على تقديم المشورة (Walsh, 2012). وإلى جانب المستشارين أرسلت طهران مئات الأطنان من المعدات العسكرية من بينها بنادق وصواريخ وقذائف إلى سوريا عبر ممر جوي أنشاه الجانبان بشكل مشترك.

بعدها بدأت إيران بدعم النظام السوري بمقاتلين من الحرس الثوري الإيراني، إذ بلغ عددهم نحو ٤٠٠٠ مقاتل في حزيران/يونيو ٢٠١٣ بهدف مساعدة قوات الحكومة السورية (Fisk, 2013) وقد شاركت هذه القوات مع مقاتلين من حزب الله اللبناني في الاستيلاء على مدينة القصير السورية من المعارضة في ٩ حزيران/يونيو ٢٠١٣ (Alami, 2017, 16). وجندت إيران كذلك منذ منتصف عام ٢٠١٢ وبأشراف فيلق القدس عدد من الميليشيات للقتال في سوريا سواء محلية أو إقليمية ولعل أبرزها لواء فاطميون من المقاتلين الأفغان^(٧). ولواء زينيون من المقاتلين الباكستانيين^(٨).

زادت إيران عام ٢٠١٤ من عدد قوات الحرس الثوري الإيراني في سوريا، وفي العام ٢٠١٥ صعدت إيران من دعمها على الأرض من خلال قوات فيلق القدس الذي شارك مقاتلوه مع الجيش السوري ومقاتلي حزب الله والمليشيات في معارك سهل الغاب، وهجمات حلب، وهجمات درعا عام ٢٠١٥، وهجمات القصير التي فرضت سيطرة الحكومة السورية وحزب الله على منطقة القلمون الشمالية والحدود والمعايير من لبنان إلى سوريا (Iran Is Taking Over Assad's Fight in Crucial Parts of Syria, 2015).

بعد سيطرة المعارضة على محافظة إدلب في النصف الأول من عام ٢٠١٥، زار اللواء قاسم سليمان في ٢٤ تموز / يوليو ٢٠١٥ موسكو لوضع تفاصيل خطة العمل العسكري المنسق في سوريا. (Bassam & Perry, 2015) وبعد ذلك وصلت سوريا العديد من القوات الإيرانية للانضمام إلى القوات السورية وحلفائها من حزب الله اللبناني في هجوم بري كبير مدعوم بضربات جوية روسية. بدأت في ٣٠ أيلول / سبتمبر ٢٠١٥ (Evans & AL-Khlidi, 2015). إذ تمكن التحالف الإيراني- الروسي من اخراج قوى المعارضة من الساحل السوري، ولم يقف الأمر عند ذلك، فخلال أوائل العام ٢٠١٦ بدأت إيران ترسل قوات نخبة تجاوز عددهم ٣٠٠٠ والذين يطلق عليهم اصحاب (القبعات الخضراء) لتنفيذ عمليات خاصة وقد ظهرت قتلهم في معركة خان طومان والسيطرة على حلب (الزويري، ٢٠١٦).

وشنت القوات الإيرانية في سوريا وحلفائها في حزيران / يونيو ٢٠١٧، هجوما مسلحا على أهداف في دير الزور ومناطق في شرق سوريا باستعمال صواريخ بالستية أطلقت من غرب إيران (CNBC, 2017).

وفي مطلع حزيران / يونيو ٢٠١٨، تمكنت الفصائل المسلحة المحلية والأجنبية المالية لإيران وبمشاركة قوات النظام السوري، من السيطرة على مدينة البوكمال ومعبرها الحدودي بعد المعارك مع تنظيم داعش. واتسمت المدة التي أعقبت المعارك برغبة إيران في ترسيخ سيطرتها العسكرية والأمنية على مناطق نفوذها (موقع الحرة، ٢٠٢١).

واصلت إيران دعمها العسكري والسياسي للنظام السوري، ففي خطوة بالغة الأهمية، وقّع أمير حاتمي وزير الدفاع الإيراني مع نظيره السوري علي أيوب في أغسطس/آب عام ٢٠١٨ على معاهدة عسكرية، تضمنت تقديم إيران كافة أشكال الدعم لإعادة بناء القوات المسلحة والصناعات العسكرية الدفاعية السورية بما في ذلك الصواريخ، والالتزام بتعزيز "البنى التحتية الدفاعية في سوريا" والتي تسمح وتتيح مواصلة التواجد والمشاركة الإيرانية في سوريا (طلاع، ٢٠١٩).

وفي الجانب السياسي استقبل المرشد الأعلى للثورة في إيران علي خامنئي في ٢٥ فبراير/شباط ٢٠١٩ الرئيس السوري بشار الأسد في العاصمة طهران واصفاً إياه بـ (البطل العربي) فيما أكد الرئيس السوري على (أن أهمية العلاقات بين البلدين كانت العامل الرئيسي في صمود سوريا وإيران في وجه مخططات الدول المعادية التي تسعى إلى إضعافهما، وزعزعة استقرارهما ونشر الفوضى في المنطقة) (إيران تستقبل بشار الأسد لأول مرة بعد الثورة، ٢٠١٩).

نتج عن الدعم العسكري الإيراني في سوريا تعرض القوات الإيرانية والفصائل المتحالفة معها إلى خسائر كبيرة في الأرواح والمعدات، إذ كشفت مصادر عن أن عدد القتلى والجرحى من قوات الحرس الثوري الإيراني على الأراضي السورية بلغ نحو ٢١٠٠ قتيل ونحو ٩٠٠٠ جريح للمدة من تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠١٢ إلى آذار/مارس ٢٠١٧، وبحسب مكتب شؤون المحاربين القدامى في إيران من بين هؤلاء نحو ٤١٨ ضابطاً (Taheri, 2018) وبين القتلى أكثر من ٢٠٠٠ أفغاني (ANF, 2018) وما لا يقل عن ١٦٠ باكستانياً (Hasan, 2019).

كان الدعم العسكري الإيراني أبرز أدوات السياسة الخارجية الإيرانية تجاه سوريا بعد عام ٢٠١١، وكان لهذا الدعم الأثر الأكبر في تثبيت حكم الرئيس السوري بشار الأسد والحيلولة دون سقوطه، هذا إلى جانب الدعم العسكري والسياسي الروسي للنظام السوري.

المبحث الرابع

البعد الاقتصادي والاجتماعي في السياسة الإيرانية تجاه سوريا بعد ٢٠١١

تضمنت السياسة الإيرانية تجاه سوريا بعد عام ٢٠١١، بعدين آخرين هما البعد الاقتصادي والاجتماعي، إذ سعت ايران لترسيخ حضورها في سوريا ليس على المستوى الدبلوماسي والعسكري والامني فحسب، ولكن على المستويين الاقتصادي والاجتماعي ايضاً:

الاول: البعد الاقتصادي:

كانت علاقات ايران الاقتصادية اقل بكثير من مستوى علاقاتها في المجال السياسي والعسكري مع سوريا قبل العام ٢٠١١، ولفهم توظيف العامل الاقتصادي في السياسة الخارجية الإيرانية تجاه سوريا لابد من معرفة حجم التبادل التجاري والاستثماري بين الطرفين عام ٢٠١٠. إذ بلغت قيمة الصادرات الإيرانية الى سوريا عام ٢٠١٠ (١٤,٠١٨.٣) مليار ليرة سورية اي ما نسبته ١,٧٣ % من اجمالي المستوردات السورية، اما الصادرات السورية الى ايران فقد بلغت قيمتها نحو ٧٠٦ مليون ليرة سورية، اي ما نسبته ٠,١٢ % من اجمالي الصادرات السورية عام ٢٠١٠ (بدوي، ٢٠١٦). اما المشاريع الاستثمارية الإيرانية في سوريا فقد بلغت نحو سبعة مشاريع حتى العام ٢٠١٠ وبقيمة ٢٠ مليار ليرة سورية (قومان، ٢٠١٨، ٣).

بعد العام ٢٠١١ وبعد تصاعد الاحداث في سوريا وفرض العقوبات على النظام السوري والتي شملت وقف التعامل مع المصرف المركزي السوري، ووقف المشاريع التجارية، وتجميد أرصدة عدد من المسؤولين السوريين، الى جانب مقاطعة دول عربية وأجنبية للنظام السوري جراء سياساته الأمنية المفرطة ضد المتظاهرين، وبالتوازي مع الدعم السياسي والعسكري كثفت طهران من دعمها الاقتصادي للنظام السوري وفي مختلف القطاعات الاقتصادية.

فعلى الصعيد التجاري، رسخت إيران وجودها في سوريا عبر تدشين طريق طهران دمشق وتأمين خط بري يعبر من وسط وشمال العراق وحتى دمشق وسواحل المتوسط في اللاذقية ولبنان (قومان، ٢٠١٨، ٣) كما أبرمت إيران مع سوريا اتفاقية تجارة حرة في شباط ٢٠١٢، تضمن تخفيض الرسوم الجمركية إلى نسبة ٤%، على السلع المتداولة بين البلدين، وإلغاء جميع القيود الجمركية، وإجراءات الحظر على الواردات ذات الأثر المماثل (شتيان، ٢٠٢٠). وأصبحت الأسواق السورية سوقاً تصريفية للمنتجات الإيرانية لتتربع طهران على قائمة الشريك التجاري الأول لسورية. وإثر ذلك تحسن حجم التبادل التجاري بين البلدين من ٣٦١ مليون دولار في عام ٢٠١١ إلى حوالي ٨٦٩ مليون دولار في ٢٠١٧ (شتيان، ٢٠٢٠).

ومن أجل زيادة وتوسيع حجم التبادل التجاري بين البلدين تم إنشاء الغرفة التجارية الإيرانية-السورية المشتركة في العام ٢٠١٩، (رصيد ٢٢، ٢٠٢١). ولكن رغم ذلك فإن حجم التبادل التجاري خلال ٢٠٢٠ لم يزد على ٢٠٠ مليون دولار بين البلدين، وذلك بسبب قيود جائحة كورونا، وفترة الحظر التي امتدت لنحو عام من آذار/مارس ٢٠٢٠ ولغاية آذار/مارس ٢٠٢١، إذ تعطل النشاط التجاري بشكل كبير وانخفضت الصادرات الإيرانية إلى سوريا بنسبة ٤٣% (صحيفة الشرق الأوسط، ٢٠٢١).

سعت إيران لتثبيت وجودها في سوريا أيضاً عن طريق الدخول بمشاريع استثمارية طويلة الأمد، فقد تم التوقيع على اتفاقية منح الشركات الإيرانية حق الاستثمار في سوريا، إذ منحت إيران حق التنقيب عن الفوسفات واستخراجه لمدة ٥٠ عاماً من مناجم الفوسفات بخنيفيس في ريف حمص، والتوقيع أيضاً مطلع العام ٢٠١٧ في طهران مع وفد الحكومة السورية على مذكرات تفاهم كان من بينها استثمارات في مجال الصناعات الاستخراجية (قومان، ٢٠١٨، ٣).

ولتسهيل مشاركة إيران في مشاريع الاستثمار، أسست "اللجنة السورية-الإيرانية العليا المشتركة"، التي باشرت أعمالها مطلع عام ٢٠١٩، والمصرف

السوري-الإيراني المشترك بإسهام ٦٠% من الجانب الإيراني. وفي كانون الأول/ديسمبر ٢٠١٩، وقّعت سوريا مع إيران اتفاقية تعاون اقتصادي "طويل الأمد" وفي مجالات عدة شملت قطاعات المصارف والمالية والبناء وإعادة الإعمار، ومذكرة تفاهم أخرى تضمنت بناء ٣٠ ألف وحدة سكنية في معظم المدن السورية (عنب بلدي، ٢٠٢١).

وفي ١٨ كانون الأول/ديسمبر ٢٠٢٠، افتتح رئيس "الغرفة التجارية الإيرانية-السورية المشتركة" مركز "إيرانيان" التجاري في العاصمة دمشق، وأعلن كيوان كاشفي رئيس الغرفة حينها أن "المركز التجاري جُهّز ودُشّن عبر استثمارات غرفة تجارة وزراعة معادن إيران". وأوضح كاشفي أن المركز يقع في المنطقة التجارية الحرة وسط العاصمة دمشق، مضيفاً أن مساحته تبلغ أربعة آلاف متر مربع (عنب بلدي، ٢٠٢١).

ثانياً_ البعد الاجتماعي:

يمكن ملاحظة البعد الاجتماعي والثقافي في السياسة الإيرانية تجاه سوريا من خلال الاتي :

١- شراء العقارات وتغيير التركيبة السكانية، فبعد ان أصدرت الحكومة السورية قانون رقم ٦٣ لسنة ٢٠١٢ الذي مكن وزارة المالية من الاستيلاء على أصول وممتلكات الأشخاص الخاضعين لقانون مكافحة الإرهاب لعام ٢٠١٢ ونقل ملكيتها إلى الحكومة السورية، وقانون ٦٦ لعام ٢٠١٢ الذي استخدم للاستيلاء على الممتلكات وتهجير قاطنيها بحجة إعادة إعمار مناطق السكن العشوائي في منطقتين في محافظة دمشق، والقانون رقم ١٠ في ٢ نيسان/أبريل ٢٠١٨ (Human Rights Watch, 2018) الذي اعطى لأصحاب الأملاك السوريين مهلة ٣٠ يوماً لإيجاد وكيل محلي وتقديم طلب ملكية شخصياً في محاولة لانتزاع الأراضي من الاشخاص والعوائل الذين يشكلون الجزء الأكبر من لاجئي الحرب وكانوا غير قادرين أو غير راغبين في العودة في الموعد المحدد لتقديم الطلبات، وقد استغل اعضاء ومقربين من حزب الله اللبناني

والحرس الثوري الإيراني هذا الوضع لشراء عقارات عديدة، ووفقاً لتقارير عن مسؤولين سوريين، تم نقل أكثر من ٨ آلاف عمار في منطقة دمشق إلى مالكيين غير سوريين خلال السنوات الثلاث الماضية (2, Ghaddar & Stroul).

وقد تركّز نشاط إيران في الاستيلاء على الأراضي والعقارات في مناطق محددة ذات أهمية استراتيجية عسكرية أو دينية مثل مناطق الشريط الحدودي بين لبنان وسورية في مدن القصير والقلمون والزبداني، وفي دمشق وريفها في السيدة زينب والبحصة والشاغور، وفي دير الزور في مناطق البوكمال، وفي حلب الأحياء الشرقية وفي مدينة حمص في أطراف حي الوعر، وحي بابا عمرو وحي البياضة والعباسية (أدبي وآخرون، ٢٠٢١، ٢٥).

٢- تعمل إيران مع منظماتها الخيرية للاندماج بشكل أفضل في المجتمع السوري، فمن بين نحو اثنا عشر (منظمة اقتصادية واجتماعية و خيرية) تعمل تحت إمرة إيران في سوريا، مثل مؤسسة الزهراء الخيرية وجهاد البناء ومؤسسة الأمين واللجنة الخيرية الاجتماعية ومؤسسة الشهداء ومؤسسة السجاد وغيرها. وتعد منظمة جهاد البناء الأكثر فاعلية، ولها حضور متزايد في العديد من المدن السورية، من حلب شمالاً إلى درعا والقنيطرة جنوباً، ومن البوكمال شرقاً إلى ساحل البحر المتوسط غرباً، وتنفذ منظمة جهاد البناء مشروعات كبيرة في سوريا، من ضمنها إعادة بناء المدارس والطرق والبنية التحتية في حلب ودير الزور ومدن أخرى، فضلاً عن تقديم مساعدات لعائلات المقاتلين السوريين ضمن الفصائل المسلحة الموالية لظهران، ويصف الفرع السوري للمنظمة جهاد البناء الواقع في منطقة السيدة زينب بريف دمشق، نفسه بأنه "خدمي تنموي ومستقل"، وتشمل أنشطته بناء وإعادة تأهيل المستشفيات والمدارس في حلب وحمص ودير الزور، وترميم منازل أسر قتلى قوات النظام في حمص، فضلاً عن توفير الغذاء للسكان المحليين، وتنظيف أحياء بأكملها لتسهيل عودة النازحين (أحمد، ٢٠١٩). وساعدت المنظمة أيضاً على اكتساب أراضٍ جديدة، خاصةً بالقرب من الأماكن الدينية حول دمشق ودير الزور وحلب، كجزء من مهمتها لتحقيق قدر من التغيير الديموغرافي في سوريا، وقد افتتحت المنظمة مكتباً لها

في مدينة البوكمال لتولي عملية شراء المنازل وإعادة الإعمار، إذ يقوم مندوبون عن المنظمة بدفع مبالغ كبيرة مقابل تملك المنازل والمحلات التجارية بأوراق رسمية" (أحمد، ٢٠١٩). وفي محاولة لكسب ولاء السكان المحليين قامت المنظمة عام ٢٠١٩ بإعادة ترميم ١٦ مدرسة في دير الزور وحدها في خطوة تؤكد دعم إيران لعملية البناء في سوريا، كما توزع المنظمة بشكل دوري إعانات مادية وإغاثية للأهالي ومساعدات غذائية كتب عليها "مساعدات الجمهورية الإسلامية الإيرانية إلى الشعب السوري". وخلال جائحة الفيروس التاجي كورونا، أنشأت إيران عدة نقاط طبية صغيرة في دير الزور لتزويد المدنيين بفيتامين سي والأقنعة الواقية (صبان، ٢٠٢٠).

٣- سعت إيران خلال الازمة السورية نحو قطاعات تتصل مباشرة بثقافة وهوية المجتمع والتوجهات الدينية، من خلال تأسيس مراكز ثقافية وتجمعات دعوية تنشط في مناطق عدة منها دمشق وريفها واللاذقية وحمص وحلب ودير الزور، ففي المجال الديني برز المجلس الاسلامي الجعفري الاعلى في سوريا عام ٢٠١٢، إذ وضع لنفسه اهدافا منها تمثيل "الطائفة الشيعية" في سوريا والتحدث باسمها، ودعم انتشار مبادئ الثورة الايرانية في سوريا، واقامة مؤسسات دينية وتربوية وخيرية بهدف التقرب من المجتمعات المحلية (أدلي وآخرون، ٢٠٢١، ١٠).

والى جانب ذلك تنشط مراكز وجمعيات دعوية كالمجمع العالمي لآل البيت ومركز ابناء الامام علي، ومجمع الصراط الثقافي، ومركز كشافة الولاية أو ما يطلق عليه (كشافة المهدي) التابعة لـ(جمعية الامام المهدي) وقد اسسه القائد في الحرس الثوري الايراني حسن شاطري في عام ٢٠١٢، وله فروع في كل من دمشق واللاذقية وحلب وحمص وطرطوس ودير الزور، وهو مركز يوجه نشاطه بنحو خاص الى الاطفال والشبان صغار السن، ومن ابرز مراكز ايران الدعوية مراكزها الثقافية الثلاث في دمشق واللاذقية دير الزور التي افتتحت في عام ٢٠١٨ بأشراف مباشر من الحرس الثوري، وينشط في اقامة فعاليات ثقافية ودينية فضلا عن استقطاب الشباب من دير الزور للتجنيد في الفصائل المدعومة من ايران (أدلي وآخرون، ٢٠٢١، ١١).

وفي الجانب الثقافي ايضا بالرغم فتح أقسام اللغة الفارسية في العديد من المؤسسات التعليمية السورية قبل العام ٢٠١١، بما فيها جامعة دمشق، وجامعة البعث في حمص، وجامعة تشرين في اللاذقية (Ghaddar & Stroul, 2019, 2). وتعمل ايران لجعل اللغة الفارسية لغة سائدة في سوريا؛ ففي ٢٣ كانون الثاني /يناير ٢٠٢٠ وقعت وزارة التربية والتعليم الإيرانية مع وزارة التربية السورية مذكرة تفاهم في العاصمة دمشق تقضي بإشراف إيران على تعديل المناهج الدراسية السورية وطباعتها في إيران، إلى جانب مساهمات أخرى في السياق ذاته، فضلا عن اعتبار اللغة الفارسية لغة ثانية واختيارية في الثانويات السورية (الحطيب، ٢٠٢٠).

وتركز إيران نشاطها بين الأطفال وطلاب المدارس وخاصة في المرحلة ما قبل الجامعية، إذ يوجد أكثر من ٤٠ مدرسة إيرانية خاصة في دمشق وحدها، منتشرة في مناطق عدة، وشملت هذه المدارس حوالي ١٠ مدارس ثانوية تابعة لوزارة الأوقاف الدينية ومعترب بها من قبل وزارة التربية والتعليم في دمشق وحلب واللاذقية ودير الزور (قناة الحرة، ٢٠٢٠).

اما على مستوى التعليم الجامعي يوجد في سوريا فروع لست جامعات إيرانية، منها الفارابي للدراسات العليا، والجامعة الإسلامية الحرة الإيرانية (آزاد)، وكلية المذاهب الإسلامية الإيرانية في دمشق، وجامعة تربية مدرس، وجامعة المصطفى العالمية، والتي افتتح فرعها في سوريا عام ٢٠١٣ وتضم ثلاث شعب في محافظات حلب واللاذقية ودمشق، علماً بأن الجامعات الإيرانية افتتحت فروعها في سوريا بعد العام ٢٠١١ (صحيفة الشرق الأوسط، ٢٠٢١).

الخاتمة والاستنتاجات

اهتم البحث بدراسة تطور السياسة الخارجية الايرانية تجاه سوريا منذ العام ٢٠١١ وحتى عام ٢٠٢٠ محاولاً استعراض وتحليل دوافع واليات السياسة الايرانية في سوريا، وقد خلص البحث للاستنتاجات الاتية :

— بالرغم من تأكيد المادة الثالثة من الدستور الايراني على "دعم إيران المطلق لمستضعفي العالم كهدف من أهداف الجمهورية الإسلامية"، وقيام ايران بالتدخل في

الشؤون الداخلية لدول الجوار بهدف نصرة الشعوب المستضعفة ضد الحكومات المستكبرة حسب أدبيات الثورة الإيرانية، إلا أن الحال في سوريا مختلف حسب رأي طهران فالذين يقومون بالثورة في سوريا ليسوا من المستضعفين بل هم من دسائس المؤامرة المحاكاة ضد النظام السوري وعليه تكون مساندة النظام السوري واجبة، إذ وصفت الحكومة الإيرانية انتفاضة الشعب السوري بأنها فتنة (بتحريض من الخارج).

لعبت مواقف القوى الدولية والإقليمية المنافسة لإيران في سوريا دوراً مركزياً في تحديد الموقف الإيراني من الأزمة السورية.

تري إيران أن سقوط النظام السوري سوف يفقدها نفوذها الإقليمي ومشروعها في المنطقة والتي تطلق عليه " الحفاظ على محور المقاومة " والذي يشكل فيه النظام السوري جزءاً مهماً منه حسب الاستراتيجية الإيرانية.

تدرجت وسائل الدعم والتدخل الإيراني في الأزمة السورية بين سياسية واقتصادية وعسكرية، وبدرجة تتناسب مع التحديات العسكرية التي كانت تواجه النظام السوري وكان هدف التدخل العسكري الإيراني المباشر على الساحة السورية هي الدفاع عن النظام السوري ومحاربة أغلب قوى المعارضة فضلاً عن التنظيمات الإسلامية المتطرفة. ونتج عن ذلك تعزيز النفوذ الإيراني في سوريا.

تمكنت إيران من ترسيخ حضورها في سوريا ليس على المستوى السياسي والعسكري والأمني فحسب، بل على المستوى الاقتصادي والاجتماعي والثقافي أيضاً، من خلال تطبيق برامج اجتماعية ودينية واقتصادية تهدف إلى استمالة المجتمعات المحلية في سوريا التي قد لا تكون متقنة إيديولوجياً مع إيران. وتمكنت من خلال تأسيس مراكز ثقافية وتجمعات دعوية تنشط في مناطق عدة منها دمشق وريفها واللاذقية وحمص وحلب ودير الزور، إلى الولوج نحو قطاعات تتصل مباشرة بثقافة وهوية المجتمع والتوجهات الدينية.

الهوامش والمصادر

(١) ظهرت ولاية الفقيه وبموجبها كان يبت (الولي الفقيه) في أمور المسلمين الدينية والدنيوية، وظهرت ولاية الفقيه لأول مرة في فكر الملا احمد التراقي الكاشاني المتوفي عام ١٨٢٩م ثم تبناها الامام الخميني في كتابه ولاية الفقيه الذي صدر عام ١٩٧٠م وطبقها عملياً بعد إعلان الجمهورية الإسلامية في إيران ، حيث نصت المادة الخامسة من الدستور على أن في زمن غياب الإمام المهدي تكون ولاية الأمر وإمامة الأمة في جمهورية إيران الإسلامية بيد الإمام العادل و"لولي الفقيه حق السلطة والولاية في عصر الغيبة". وهو من يدير أمور المجتمع ويجب على الشعب الامتثال لأوامره وطاعته ومن يخالف أوامرهم فهو يخالف أوامر إمام الزمان طبقاً لرؤية مؤيدي النظرية من الشيعة الاثني عشرية، للمزيد حول ولاية الفقيه وتطبيقاتها ، ينظر (اللباد، ٢٠٠٦، ٨٣-١٢٣).

(٢) عين المرشد الأعلى للجمهورية الإيرانية علي خامنئي وزير الدفاع السابق الأدميرال علي شمخاني ممثلاً له بالمجلس الأعلى للأمن القومي، خلفاً لحسن روحاني الذي شغل المنصب لسنوات طويلة قبل انتخابه رئيساً لإيران في يونيو/حزيران ٢٠١٣. للمزيد ينظر (المجلس الأعلى للأمن القومي في إيران (م.أ.أ.ق.إ.)، ٢٠١٥).

(٣) تحدث الدستور الإيراني عن الرئاسة في عشرين مادة من مواده (١١٣-١٤٢) (د.ج.إ.م، ١٩٨٩).

(٤) تغير اسم مجلس الشورى الوطني إلى مجلس الشورى الإسلامي بعد تعديل الدستور عام ١٩٨٩.

(٥) مقابلة أجريت مع وزير الخارجية الإيراني محمد جواد ظريف مع وكالة "إيران إنترناشيونال"، للمزيد ينظر: (إيران إنترناشيونال، ١٤٠٠).

(٦) انيسه بصيري تبريزي ورافائلو بانتوجي، "درك نقش ايران در بحران سوريه"، "بنياد متحد خدمات سلطنتی برای مطالعات امنیتی ودفاعی ، ترجمه شده در مركز بررسى هاى استر انزبک ریاست جمهوری ، (اذر ماه ١٣٩٥)، ص ١٤.

(٧) برز اسم لواء "فاطميون" لأول مرة في نوفمبر/تشرين الثاني من عام ٢٠١٢، في المعارك التي خاضها ضد قوات المعارضة السورية المسلحة، وهم من المقاتلين الافغان الذين كانوا في الاصل لاجئين في ايران الى جانب عدد ليس بالقليل من داخل افغانستان ، تم تنظيمهم وتدريبهم وتمويلهم من قبل حرس الثورة الإيراني. يُقدر تعداد اللواء بحوالي ٣٠٠٠ مقاتل، مع أن المصادر الإيرانية تدعي بأن العدد يصل إلى ١٤ ألف مقاتل ، شارك مقاتلو اللواء بمهام قتالية في دير الزور والبوكمال بشهر تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠١٧. للمزيد عن لواء فاطميون ينظر: (زيدان، ٢٠١٨).

(٨) تم تشكيل وتدريب لواء زينبيون المكون من المقاتلين الباكستانيين من قبل الحرس الثوري الإيراني ويعمل تحت إمرته. وبدأ القتال في سوريا عام ٢٠١٣، حيث كلف في البداية بالدفاع عن

مقام السيدة زينب، ثم دخل القتال في الخطوط الأمامية في العديد من مناطق سوريا (السيد، ٢٠٢٠).

المصادر

١. المصادر العربية:

أحمد، ع. (٢٠١٩). جهاد البناء ... ذراع إيران الاقتصادية والخيرية للقبض على سورية The Building Jihad ... Iran's Economic and Charity Arm to Arrest Syria. صحيفة العربي الجديد القطرية.

أدليبي، ع.، وآخرون. (٢٠٢١). الدور الإيراني في إعادة هندسة المجتمع السوري The Iranian Role in the Re-Engineering of Syrian Society. مركز حرمون للدراسات المعاصرة.

إيران تستقبل بشار الأسد لأول مرة بعد الثورة Iran Receives Bashar Al-Assad for the First Time After the Revolution. موقع الخليج أونلاين: <http://khaleej.online/gVyMAq>.

التبادل التجاري الإيراني السوري وتدشين خط بحري يربط البلدين The Iranian-Syrian Trade Exchange and Maritime Line Inauguration Connects the Two Countries. (١٢، شباط، ٢٠٢١). رصيف ٢٢: <https://raseef22.net/article/1081509>.

قناة الحرة. (١٨، شباط، ٢٠٢٠). قناة الحرة: <https://www.alhurra.com/iran/2020/02/18>.

الحطيب، ح. (٢٠٢٠). اتفاقيات بين دمشق وإيران تسمح للأخيرة بتعديل المناهج السورية Agreements Between Damascus and Iran Allow the Last to Amend Syrian Curricula. نون بوست: <https://www.noonpost.com/content/35806>.

الحكيم، م. ع. (٢٠١٤). دبلوماسية حيافة السجاد صناعة القرار السياسي الإيراني: المحددات والمؤسسات المؤثرة Diplomacy Knitting Carpet Industry Iranian Political Decision: Improved Determinants and Institutions. الوحدة الإسلامية، ١٣ (١٤٨).

الزويري، م. (١٨، أيار، ٢٠١٦). سوريا والتدخل العسكري الإيراني Syria and Iranian

Military Intervention. جريدة الوطن (القطرية).

<https://www.al-watan.com/Writer/id/803>

السيد، م. م. (٣٠، نيسان، ٢٠٢٠). عين على الميدان... خريطة التنظيمات المسلحة في سوريا. *Vision On the Field ... Map of Armed Organizations in Syria*. مركز الإنذار المبكر:

<https://ewc-center.com/2020/04/30/>

السياسي، ن. (٢٠٢٠). مهام قوة القدس الإيراني *The Functions of the Iranian Jerusalem Corps*. موقع صدق العرب. شركة السوق العربية للصحافة والطباعة والنشر:

<https://www.sada-elarab.com/527683>

القره غولي، ل. م. (٢٠٠٤). مفهوم السلطة السياسي الإسلامي المعاصر *The Concept of Contemporary Islamic Political Power*. رسالة ماجستير غير منشورة. جامعة بغداد.

اللباد، م. (٢٠٠٦). حقائق الأحران إيران ولاية الفقيه *The Sadness Gardens Iran the Jurist Authority*. دار الشروق.

المجلس الأعلى للأمن القومي في إيران *Supreme National Security Council in Iran*. موقع الجزيرة: (٢٠١٥).

<https://www.aljazeera.net/encyclopedia/organizationsandstructures/2015/5/4/>

بختياري، ب. (١٩٩٨). المؤسسات الحاكمة في الجمهورية الإسلامية الإيرانية: المرشد الأعلى والرئاسة ومجلس الشورى (البرلمان) *Government Institutions in the Islamic Republic of Iran: Supreme Leader and Chair and the Shura Council (Parliament)*. في ج.م. السويدي. إيران والخليج البحث عن الاستقرار *Iran and Gulf Looking for Stability* (ط ٢). مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية.

بدوي، ث. (٢٠١٦). داعش في المجال الأوراس: الأبعاد والتداعيات الإقليمية *ISIS In The Eurasian Field: the Dimensions and Regional Tottering*. في ف. الصمادي، تنظيم الدولة الإسلامية: النشأة والتأثير والمستقبل *ISIS: origination, the Influence and the Future*. الدار العربية للعلوم ناشرون:

<https://studies.aljazeera.net/ar/reports/2015/07/2015729430141735.html>

عنب بلدي. (١٧، آذار، ٢٠٢١). خلال ثلاث سنوات إيران تريد رفع التبادل التجاري مع سوريا

إلى ١.٥ مليار دولار *During Three Years Iran Wants to Raise Trade with*

Syria to \$ 1.5 Billion. عنب بلدي:

<https://www.enabbaladi.net/archives/466992> .

دستور الجمهورية الإسلامية الإيرانية *Constitution of the Islamic Republic of Iran*. (١٩٧٩). مؤسسة الشهيد.

دستور الجمهورية الإسلامية الإيرانية المعدل لعام ١٩٨٩ *Constitution of the Islamic Republic of Iran amended in 1989*. (١٩٨٩). المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية.

زيدان، أ. م. (٢، كانون الثاني، ٢٠١٨). فيلق فاطميون الأفغاني راس الحربة الإيرانية *The Afghan Fatemyon Corps the Iranian Bayonet Head*. مركز الجزيرة

للدراستات <https://studies.aljazeera.net/en/node/4248>

سلمي، ج. (١٨، أيلول، ٢٠١٨). الدور الإيراني في سورية التوصيف والسيناريوهات الممكنة *The Iranian Role in Syria and Possible Scenarios*

<https://jusoora.co/details> .

شتيان، م. (١، آذار، ٢٠٢٠). المناطق الحرة استثمارات جديدة تثبت الوجود الإيراني في سوريا وتجنّي المكاسب *Free Areas of New Investments Proving Iranian*

Presence in Syria and Adopt Gains. موقع عنب بلدي

<https://www.enabbaladi.net/archives/366799>

صبان، ن. (٢٠٢٠). حقائق: النفوذ والوجود الإيراني في سوريا *Facts: Influence and Iranian Presence in Syria*. مجموعة التفكير الاستراتيجي

<https://stgcenter.org/item/1>

صحيفة الشرق الأوسط. (١٦، كانون الأول، ٢٠٢١). (د.ع). صحيفة الشرق الأوسط، ١٥٧٢٤.

طلاع، م. (آذار، ٢٠١٩). الدور الإيراني في الأزمة السورية: التموضع والتحالفات والمستقبل *The Iranian Role in the Syrian Crisis: Positioning, Alliances and Future*. مركز الجزيرة للدراسات:

<https://studies.aljazeera.net/ar/reports/2019/03/190306073852778.html>

- عبدالعال، أ. أ. (٢٧، حزيران، ٢٠١٨). إيران والمستنقع السوري.. المصالح والمستقبل Iran and Syrian Swamp ... Interests and Future: <https://www.noonpost.com/content/23886>
- عبد، د. م. م. (٢٠١٦). الاتجاهات العامة للمصالح الإقليمية لإيران في المنطقة العربية دراسة مقارنة: سوريا واليمن ٢٠١١-٢٠١٦ *General Trends of Iran's Regional Interests in the Arab Region Comparison: Syria and Yemen 2011-2016*
- قومان، م. (٢٠١٨). التوضع الاقتصادي الإيراني في سورية ورقة تحليلية، مسار التنمية والاقتصاد Iranian Economic Position in Syria Analytical Paper ، *Development and Economy Path*. مركز عمران للدراسات الاستراتيجية: <https://www.omrandirasat.org/html> .
- موقع الحرية. (١٩، أيار، ٢٠٢١). الطريق إلى المتوسط.. دير الزور في استراتيجية التمدد الإيراني في المنطقة The Road to the Mediterranean ... the Iranian *:Strategy in Deir Al-Zour at the Region* <https://www.alhurra.com/iran> .
- بحوي، ف. (٢٠١٨). الدور الإقليمي الإيراني في منطقة الشرق الأوسط بعد الثورات العربية (سوريا أنموذجاً) *Iran's Regional Role in the Middle East After the Arab Revolutions (Syria as a Model)* رسالة ماجستير غير منشورة. جامعة محمد بوضياف.
٢. المصادر الأجنبية:

- تبريزي، أ. ب.، & پانتوچی، ر. (١٣٩٥). درک نقش ایران در بحران سوریه.
- خليليان، خ. (د.ت). نكرش بر قانون اساس جمهوري اسلام ايران. نشر فرهنگ اسلامي.
- صادقي، س. ش. ا.، & لطفی، ك. (١٣٩٤). تحليل مواضع جمهوري اسلامي ايران در قبال بحران سوریه. جستارهای سياسي معاصر.
- مصابه منتشر نشده ظریف: با فشار سلیمانی، دیپلماسی را فدای جنگ کردم. (٥ اردیبهشت ١٤٠٠). *ایران اینترناشیونال* <https://old.iranintl.com>
- نجات، س. ع. (١٣٩٣). راهبرد های جمهوری اسلامی ایران و عربستان سعودی در قبال بحران

سوريه. فصلنامه سياست خارجي.

Alami, M. (2017). Hezbollah's Military Involvement in Syria and its Wider Regional Role. *Dirasat*, 21.

ANF. (2018, March, 20). 2000 Afghan soldiers killed in Syria. <https://anfenglish.com/news/2-000-afghans-in-iranian-army-killed-in-syria-24069>.

Bassam, L., & Perry, T. (2015, October, 6). How Iranian general plotted out Syrian assault in Moscow. <https://www.businessinsider.com/iran-is-taking-over-assads-fight-in-crucial-parts-of-syria-2015>.

CNBC. (2017, June, 18). Iran's Revolutionary Guard Strikes Syria for Tehran Attacks. <http://www.cnn.com>.

Evans, D., & AL-Khlidi, S. (2015, October, 4). Assad says Russian air campaign vital to save Middle East. <https://www.businessinsider.com/iran-is-taking-over-assads-fight-in-crucial-parts-of-syria-2015>.

Fisk, R. (2013, June, 16). Iran to send 4,000 troops to aid President Assad forces in Syria. *The Independent*. <https://www.independent.co.uk/news/world/middle-east/iran-to-send-4-000-troops-to-aid-pre>.

Ghaddar, H., & Stroul, D. (2019, January, 22). Pushing Back on Iran in Syria: Beyond the 'Boots.

Hasan, F. (2019, July, 2). Why Pakistan's Shias are disappearing and going into 'small, dark cells. <https://theprint.in/world/why-pakistans-shias-are-disappearing-and-going-into-small-dark-cell>.

Iran is taking Over Assad's Fight in Crucial Parts of Syria. (2015, June, 8). Business Insider. <https://www.businessinsider.com/iran-is-taking-over-assads-fight-in-crucial-parts-of-syria-2015>.

Jaber, M. (2011, May, 9). Iran helping Syrian regime crack down on protesters, say diplomats. *The Guardian*.

Khoshnood, A. (2020). The Role of the Qods Force in the Foreign Policy of the Islamic Republic of Iran. *Central European Journal of International and Security Studies*, 14.

No Title. (n.d.). CNN Arabiya. <https://arabic.cnn.com/middle->

east/article/2021/05/03/khamenei-zarif

Q&A: Syria's New Property Law. (2018). In *Human Rights Watch*.

<https://www.hrw.org/news/2018/05/29/qa-syrias-new-property-law>

Taheri, A. (2018, March 14). Exclusive: Why Iran's Intervention in Syria Proved so Costly. *Asharq Al-Awsat Newspaper*:

<https://english.aawsat.com/home/article/1204601/exclusive-why-iran's-intervention-syria-proved>.

Walsh, N. P. (2012, October 31). *Iranian drones guiding Syrian attacks, rebels say*:

<https://edition.cnn.com/2012/10/31/world/meast/syria-drones/index.html>